

التعاليم الإسلامية وتوظيفها في الشعر البحريني المعاصر

حسن شوندي*

الملخص

إنّ التطورات التي أحدثت في المنطقة في السنوات الأخيرة تدلّ على الوعي الإسلامي للشعوب إلا أنّ هناك من لا يخضع لدور التعاليم الإسلامية في هذا الوعي ويرى للثورات في المنطقة أسبابا أخرى غير إسلامية. ومما لاشكّ فيه أنّ الصحوّة الإسلامية في المنطقة بدأت باحتلال فلسطين، واستمرت بعدها بالصراعات الفكرية ثمّ الميدانية بين النزعات المختلفة التي تميل بعضها إلى الغرب وأخرى إلى التراث الديني الوطني دون ثقة بالغرب. وهذه الصحوّة واضحة في الأدب العربي كما هي واضحة في الأدب البحريني الذي نحن ندرسه في هذا المقال حيث نواجه الألفاظ التي توحى بتعاليم الدين الإسلامي مثل "النبي، والقرآن، والربّ، والمعراج، والشهيد". ثمّ لانبج تقرّيبا شاعرا لم يتناول الاحتلال الصهيوني لفلسطين. إضافة إلى أنّ استخدام "شاورن" رمزا للقتل و الدمار، ورفض سيطرة الشركات الغربية لاسيما الأمريكية للبلاد، ومجابهة الاستبداد ورفض ذلّة الحكام أمام القوى المستكبرة العالمية كلّها تدلّ على البواعث الإسلامية لثورات المنطقة.

الكلمات الدليلية: البحرين، الشعر، الصحوّة الإسلامية، فلسطين.

المقدمة

تكشف البحوث الدقيقة أنّ المحاولات لاحتلال فلسطين كانت أقدم مما سجّله التواريخ الرسمية في الكتب حيث يمكن مشاهدة المبادرات الأولى في شراء الأراضي الفلسطينية واشترائها منذ أكثر من نصف قرن قبل سنة ١٩١٧م. (باقرى وفرزاد، ١٣٧٦ش: مقدمه) فإنّ اهتمام اليهود بالحصول على موافقة السلطان العثماني عبد الحميد على اشتراء الأراضي الفلسطينية كلها تدلّ على عزم سابق للصهيانية على تأسيس دولة جديدة في الأراضي المحتلة.

فلذلك يمكن القول بأنّ الصحوة في العالم العربي تزامنت مع محاولة الغرب للسيطرة على العالم الإسلامي. فيشير نجيب العازورى سنة ١٩٠٥م إلى ظاهرتين مهمّتين في هذا العصر وهما صحوة الشعوب العربية من جهة ومساعي اليهود التي تهدف إلى تكوين جديد للحكومة الإسرائيلية القديمة من جهة أخرى، ويعتقد بأنّ المسلمين العرب واليهود بدؤوا بالتحارب معا حتى الانتصار النهائى، ومصير العالم كله تتعلق بنتيجة هذه التخاصم والتحارب. (نفس المصدر: ١٣-١٤)

والذى لا يجدر الإهمال عنه هو أنّ الدول المستعمرة وجدوا التفرقة بين المسلمين أفضل خطة لتهميمهم. فجددهم قاموا في العصر العثماني بنشر النزعات القومية بين الأتراك من جهة والعرب من جهة أخرى. فالشباب الأتراك كوّنوا حركة قومية يواجهون بها العرب، والعرب شكّلوا جمعيات عربية تقابل الجمعيات القومية للأتراك.

إضافة إلى هذه الجمعيات التي استخدمها المستعمرون لإثارة النزعات القومية في الدولة العثمانية نجدهم يتهمون الدولة العثمانية بانتهاك حقوق الإنسان، ويحاولون أن يجعلوا الناس في الدولة العثمانية تابعين لهم أو عاجزين عن القيام بمقتن الأعمال، وأن يوجدوا المشاكل الاقتصادية. فهذه الأساليب كانت ناجحة في إيصالهم إلى أهدافهم بشكل غير مباشر وفي تحطيم صمود الشعوب أو تفشييلهم.

ثمّ إنّ الثقة بالغرب مهّدت طريق الدول المستعمرة في الوصول إلى أهدافهم فقام عدد منهم يدعمون الغرب يظنّون به ظنّ الخير ويقفون في وجه معارضيه. فعلى سبيل المثال نرى على الرمادى بعد سنة من تجزئة فلسطين من الدولة العثمانية يعدّ بريطانيا

من حماة المظلومين ويغلو أحيانا أكثر من ذلك ويعدها من ناصري الإسلام ومحبيه. كما نجد "إبراهيم بز الحداد" يرى بريطانيا هي التي حرّرت فلسطين وخلّصتها من الدولة العثمانية. فلذلك يدعو لها بالسعادة الأبدية. (نفس المصدر: ٣٥)

ثمّ غلبة البواعث الشخصية أو العائلية في تكوين الأحزاب والجمعيات انتهت إلى عدم ثقة الشعوب العربية بها ممّا أدّى إلى مخالفتهم لها. فلذلك نرى الشعراء المعاصرين العرب مع فخرهم بمجدهم الماضي ينقدون المواقف السياسية للدول العربية حول القضايا العربية لاسيما القضية الفلسطينية التي عقّبا احتلال الأراضي الفلسطينية.

كما نجدهم يتهمون الحكام العرب بأنهم أداة بأيدي الدول الغربية يقودون المجتمع نحو اليأس ويهيئونهم لقبول الدّلّ والهوان. فنراهم يخاطبون القادة العرب قائلين بأنهم خضعوا للتهديد الغربي الصهيوني لفلسطين مع أنّهم أثرياء ولكنهم كاذبون عاجزون.

وكلّ هذه الأسباب أدّت إلى ضعف الدول العربية وتوهين الشعوب إلا أنّ الدول العربية لم تنتبه وذهب كل دولة إلى هواها. فتفرّق شملهم وتشتّت آمالهم حتى وقعت الحرب سنة ١٩٤٨م وانهزم العرب، فصاح المفكرون والصحف العربية منادين إلى الوحدة بينهم متهمين الحكام بأنهم العامل الأول والأخير في انهزام العرب. (نفس المصدر: ١٠٥)

وبهذا الانهزام انتبه المفكرون والشعراء العرب واتّسعت رؤيتهم. فقاموا يبحثون عن عوامل الانهزام السياسية والاقتصادية والاجتماعية ودرسوا الأساليب المختلفة للحكومة التي كان يدعو بها البعض وعدّوها أساليب شيطانية أخذ بها الطبقة السائدة لتكبّت الحريات الفردية والعدالة الاجتماعية وترويج الإباحية لتكثّر ثرواتها وتدّخرها. (نفس المصدر: ١٥٤)

وكلّ هذه الأحداث بعثت حركة في الأفكار الجامدة ومهدت الطريق للصحة عند الشعوب العرب ممّا أدّى إلى ظهور أفاظ تؤيّد الصمود والمقاومة مثل "الفدائي، المتسلّل، والعائد". فأصبحت لفظة "الفدائي" رمزا لحيوية الشعوب العربية، لأنّ العرب منذ السنوات البعيدة لم يكتسب إلاّ الانسحاب عن مواقفهم والانهزام والدّلّ والهوان.

(نفس المصدر: ١٦٧)

الصحة البحرينية

الواضح أنّ الجهل هو العامل المهم في انحطاط الشعوب. فاهتمام الناس بالمصالح العاجلة منعتهم عن اتباع مفكريهم ومصلحي مجتمعاتهم، لأنّهم جهلوا أسباب سعادتهم الآجلة، فوقعوا في فخاخ القوى المستبدة أو المستكبرة المعتدية، فعاشوا في ظلّ العبودية لهم سنوات كثيرة. فإذا ساد الذلّ والخضوع مجتمعا بشريا ينزل فيه أصحاب الرأى والفكر، فتحلّ السطحية محلّ التعمقية، ويسود المجتمع الفقر والإباحية من جانب، والكسل والإهمال من جهة أخرى. فتتلاشى الثقافة العامة وتعمم الأفكار فلا تولد. فتفقد القيم الإلهية أو تتبدل إلى أخرى، وتحلّ الشهوة والمجون والإباحية محلّ العصمة والعفة والغيرة، فتتأثر العلاقات الاجتماعية بالظروف السيئة السائدة وتتفك وتتفصل كلها. فيشير إبراهيم العريض إلى جهل الناس وتأثيره في المجتمع قائلا:

حتم أرعى أمة في الجهل لذها البقاء
 خلع العذار شبابها والشيخ فارقه الحياء
 وعقول معظم أهلها كقلوب نسوتها هواء
 وعليمهم و جهولهم في الخطة المثلى سواء
 وحديثهم إن حدثوا كذب ومين وافتراء

(العريض، ١٩٣٢م: ٩٧)

كما ترى الشاعر يتكلم عن الانحطاط الثقافي في المجتمع بعد ما يعلم الجهل فيه، فيشكو من هيمنة الذلّ وسيطرتها على الناس، ويصعب عليه تحمّل هذه الظروف. فيرى الحلّ في إنذار الشعب وتنبههم على الظروف، وتحريضهم على أن يثوروا ويغيّروا الحالة المؤسفة التي يعيش فيها المجتمع، ويعتقد أنّ الناس ماداموا يبحثون عن أحلامهم البعيدة لا عن الحقيقة والواقع، وماداموا يستهدفون أهواءهم في حياتهم لن يحصلوا على شيء، ولن يعيشوا إلاّ في الظلام. فهم سيقون بعيدا عن الحقيقة كما يقول الشاعر:

إنّما آمالنا تلهو بنا

مثلما يلهو بنا لمع السراب

لن يرى الإنسان وجه النور أو ظلّ الحقيقة

(رفيع، ١٩٧١م: ٣١)

وكذلك ينقد على الخليفة مجتمعه قائلاً:

يا فارسي الذي أراك آتيا

تلوح في المنام

تعال إننا مزيّفون

تعبث في عروقنا أجنحة التعب

وساقطون بعد لحظة

أو هكذا: معلقون بالرياء والكذب

(خليفة، ١٩٧٣م: ٤١)

فلاحظ أنّ الشاعر يشكو من الهمّة الساقطة لشعبه وكذبهم وريائهم، فكأنّه يئس منهم لايجد لهم من ينجيهم، فيخلق في حلمه فارساً يدعوّه ليخلصهم قبل أن يُصدّ سبيل الخلاص ويغلب عليهم العجز والفشل.

ويعتقد شاعر آخر أنّ الثقة فيما بين الناس تشكل أساس المجتمع البشري، فإن ساد عدم الثقة عليه يتلاشى المجتمع. فلذلك نراه يشكو من انحطاط القيم في المجتمع ويئنّ من قطع حبال المودّة بين الأصدقاء بسهولة حيث يدع بعضهم الآخر في المصاعب والبلايا، فيقول:

يخذلنا جميع أصدقائنا

تسحقنا حقيقة مريرة

جميع أصدقائنا الأحباب

يرمون في وجوهنا أقنعة التراب

(حداد، ١٩٧٠م: ٤٨)

فالشاعر كما تلاحظ ينذر الناس من الوقوع في المهلكة ونسيانهم القيم الإنسانية ويحذّرهم من الخطر الذي يهدّد أركان المجتمع الإنساني. كما نجد "المعاودة" يخاطب شعبه يريد إنهاءهم قائلاً:

و دبيعة الآباء في الأنباء

أسفا ونحن بزمرّة الفقراء

أبني أوّال وإنّها لخريدة

وما للغريب بها يعيش منعمًا

أبني الجزير شيبها و شياها
هيا أقشعروا حجب الضلام وثمروا
ليس الحياة تطيب للجبناء
واسعوا لحقكم بلا استجداء

(المعاودة، لاتا: ٥٦)

فالأبيات تعريض للحكام الذين باعوا الوطن للأجانب الذين يعيشون فيه عيشة منعمة، وجعلوا عيشه لأهلها ضيقا منغصا، فهم يعيشون في فقر ولا يذوقون إلا مرّ الحياة وصعوباتها. فالشاعر يشجّع شعبه لأن يتركوا الجبن وأن يثوروا على الحكام المستبدين من جهة والأجانب من جهة أخرى، لأنّ الحياة ليست إلاّ للأبسال والشجعان الذين يسعون نحو النور والسعادة ولا يرضون بالدّلّ والعيش في الضلام.

ويمكن أن نرى مثل هذه المحاولات للشعراء البحرنيين الآخريين لتحريض الشعب وإنهاضهم ضدّ الحكام والدول المتعدّية المستكبرة العالمية. فنجد على الخليفة يشجّع الشعب يقول:

كل الفوارس التي ترى
سيوفها من خشب

(الخليفة، ١٩٧٣م: ٤١)

فحكام العرب الذين يدعون أنّهم يدافعون عن الشعوب العربية وحقوقهم، شخّنا بلادهم بالأدوات الحربية، ولكنهم لم يستخدموها أبدا ضد أعداء الشعوب العربية أو الدفاع عنهم. فالشاعر كما تشاهد يسخر من الحكام ويعدّهم فوارس سيوفهم من الخشب، لأنّهم لا يهدّدون الأعداء بأسلحتهم. أمّا مخالفة الشاعر ومعارضته فلا تقتصر للحكام فقط بل تتجاوز منهم إلى الخطباء الحكوميين الذين نسوا واجبهم في توعية الشعب، فأصبحوا آلة خداع بيد الحكام، فيقول:

والكلمات، سيدى، هياكل اللعب

كل المنابر التي ترى

خطيبها يؤمّ بالدجل

ويسكن الخواء نفسه

(خليفة، ١٩٧٣م: ٤١)

ويمكن لنا أن نرى الشكوى من الحكام والشعوب فيما يلي أيضا:

أنا يا رفاق الحروف
جبان كأرنبة لا أطيق حياة السجون
ويرعبنى المخبرون
وأكره لقياء المنون
وأهوى الخلاص
أمقت صوت الرصاص
أنا أعشق الشعب لكننى
أخاف من السادة الحاكمين

(القصيبي، ١٩٧١م: جريدة الأضواء)

فالشاعر كما تلاحظ يذمّ الجبن ويعتقد أنّ حبّ الشعب لا يخلو من المشاكل والمصاعب، ومن يدعى حب الوطن وشعبه عليه أن يتدوَّق برغبة تامة مرارة العيش في القيود والسجون ويترك الخوف من رجال الأمن إلى جانب، ويرضى بالموت ولا يخوّفه رعود الرصاصات. فيدعوا بذلك الشاعر شعبه إلى الشجاعة واليقظة والنهضة، وينقد رجال الحكم الذين هم مصدر الخوف للشعب وتهديدهم بدلا من أن كانوا أمناء لهم وسكنا.

ومن أسباب مواجهة الشعراء للحكام هي مكافحتهم لكبت الحريات في بلادهم وسيادة الاستبداد والظروف السيئة لمجتمعهم. فيرى قاسم حداد نقد الحكم والظروف الاجتماعية هدية لإصلاح حالة الشعب السياسية والاجتماعية ويتوقع الشكر والتقدير لدعاة الحرية من الشعراء إلا أنّهم لا يواجهون التقدير بل يوهنون ويعذبون بالسجن ويقتلون. فيقول الشاعر:

يولد الشاعر ولا يعطونه الفرح
لكن يعدّون له السجن والنعش والمقصلة

(حداد، ١٩٧٦م: ٧٨)

فهذه الرؤية واضحة أيضا عند على الشرقاوى حيث يخالف سياسة الحكام حتّى

بواجه تهديد الحكم. هو يقول:

حين تعلّمت "لا" تعودت أكل السجون

(الشرقاوى، ١٩٧٥م: ٣٥)

والشعراء كان أمرهم يصير إلى التهديد والسجن، وكانت الظروف لاتوافق الشعراء وحياتهم، وكان يضيق بهم العيش بحيث نجد الشاعر البحريني "المعاودة" يصف حالة عيشه في السجن ويشبهه هواء السجن برياح جهنّم، ووحشة الغربة والانفراد فيه بالقبر، فيعدّد اللحظات وينتظر لقاء الموت راجيا بعد موته حياة طيبة يبحث عنها في حياته الدنيوية، فيقول:

كانّ هواء السجن ريح جهنّم و وحشته كالقبر ضقت بها أمرا
تمرّ بي الساعات أراقبها فإن مضت قلت علّ الخير ألقاه في الأخرى

(معاودة، ١٩٤٢م: ٣٧)

ومع ذلك كله لا ينسى شعراء الحرية أهدافهم، ويرون الخضوع أمام مشاكل المجتمع ومصاعبه جمودا وذلّا وموتا حقيقيا. ويواجهون برغبة كاملة التعذيب ووحشة الغربة في السجون حتّى الموت دون الانسحاب من أهدافهم المنشودة، فيقول الشاعر:

أرفض أن أكون حجرا

أو قبضة تمسك ببنانكم المنهار

أرفض أن أبيع أو أبايع

حتّى ولو حوصرت

وأغلقت في وجهي الدروب

حتّى ولو منعت من تنفس الهواء

وأوقفتني الشارة الحمراء

(يوسف حسن: صدى الأسبوع، ١٩٣٧/١٢/٣١)

والابتعاد عن القيم الإلهية والإنسانية هو سبب آخر للمشاكل الاجتماعية التي هي صدى لفقْدان القيم السامية واتجاه الإنسان نحو المعتقدات المادّية ونزعاتها الرأسمالية التي لاتقيم إلّا باكتساب الثروات واستهلاك المنتجات الجديدة وهي بذلك استعباد

حديث لاشعوري للإنسان اليومي لمصالح أولى الثروات. فيصف الشاعر البحريني التجار
الرأسماليين وحالة الفقراء قائلا:

تحتكر الثمار

يتختم التجار

ونحن في عالمنا .. نحلم بالحصاد

(حداد، ١٩٧٠م: ١٨٤)

ثم إنَّ شيوع الكلام بلا عمل من جانب الحكام والخطباء وبعض من الشعراء يخرق
المصادقية الشعبية، لأنَّهم يقولون ما لا يصدّقونه بأنفسهم. فيغرقون في المادية والذنيوية
ويلهون بالملاهي في حين يدعون الشعب إلى الخير والإحسان. فيشير الشاعر إلى ذلك
قائلا:

آه كم تاهت معانيها وزيّفنا العبارة

ورفعنا فوق هامات الحروف

خطباء جوفاء ..

صفقنا طويلا لشعارات التجارة

وتساقطنا عرايا

لا صلاة الفجر تجدينا ولا غسل الطهارة.

(حمدة خميس، الفجر والليل الزايف، مجلة هنا البحرين يناير ١٩٧٠)

ومن الشعراء البحرينيين الآخرين الذين قاموا بتحريض شعبهم ضد الظلم هو
يوسف حسن الذي يرى الصمت مقابل الظلم للناس تحقيرا للوطن وشعبه. كما يرى
تلويث عرض الوطن وتاريخه محاولة لاحتلاله. فيقول:

مَرَّقُوا أوطانكم

بصَّقُوا في وجهكم

لوثُوا تاريخكم

غيِّروا وجه الخرائط

نصبوا بوابة كبرى على وجه الخليج

علّقوا يافطة حمراء في كلّ الموائئ

(يوسف حسن: صدى السبوع، ١٩٧٢\١\١٨)

سيئت الظروف في المجتمع البحريني للتدخل الأجنبي في شؤونها. فذلّ أهلها وفقد عزّه وتحسّن حياة الأجنبي في البحرين بعد أن ساءت حياة أبنائه. فكان الشعب يعمل ويكلّف نفسه المتاعب والمشاقّ لصالح الأجنبي. فلم يكن نصيبه إلاّ الفقر والخضوع بينما كانت العزّة والفقر غريم الأجنبي:

فقراء في أوطاننا وغربنا يجبى إليه بكدنا الأموال
غرباء في أوطاننا وغربها وقف عليه العزّ والإقبال

(الخاطر، ١٩٧٥م: ١٤٣)

فالشاعر يشكو من الصمت المطبق على المجتمع البحريني، ويعانى من تذوّق الشعب الموت لحظة بعد لحظة دون أن يصرخ في وجه الظلم. فينادى شعبه متعجبا:

لم لانرفع صوتا؟

بينما في كلّ ساعات الزمان

يشبع الإنسان موتاً

(رفيع، ١٩٧٠م: ٣٥)

فلا يرى الشاعر طريقا للتخلّص من هذا الذلّ والخضوع إلاّ بالتضحية وبذل النفس. فيشبهه الحرية بحسنة يركع الناس لعيونها الساحرة حيناً ويسجد لها حيناً آخر ولا يحظى بوصالها إلاّ المجاهدين والمضحّين الذين ضرّجوا بدمائهم، فلا وصال الحسنة للجبناء الضعفاء. فيقول:

يا سادة لمخضبيها بالدماء وصل وللمستضعفين صدود
الناس خوف الحماظ عينيكم ركع طورا وطورا للعيون سجّد
ما كان سّمّاك الورى حرّية إلاّ وحرّ العبد عنك شديد

(الخاطر، ١٩٧٢م: ٥٥)

فكأنّ الشاعر يبأس من شعبه لركونه للظلم وعدم استماعه لنصائح الشاعر ومواعظه،

فيستكين لحمولهم ويقول :

وأوقفت أشعارى على نصح أمّتى ولم أتبدّل في مقال ولا قصد

فكان جزائي أن أكون كما أرى أحاول غرس الزهور في الحجر الصلد
(المعاودة، لاتا: ٩٤)

فلذلك نرى الشاعر كأنه يندم من إنشاد الشعر لشعبه ويرى محاولته لإيقاظهم
كمحاولة من يحاول غرس الزهر في الحجر، فيلومه أصدقاؤه مما يؤدي إلى شعوره
باليأس. فيصرخ بأنه لن ينشد شعرا من أجل أمة ليست لها آذانا تستمع بها النصائح ولا
عيونا تبصر بها الحقيقة، فيقول:

لن أقول القوافي وهي ضائعة ما بين قوم بلا سمع ولا بصر
(الخليفة، ١٩٦٦م: ٧٣)

كما يلاحظ أن الشاعر يرى شعره تضيع في قومه وقد يسوده الحزن والكآبة واليأس.
فيملّه البقاء في وطنه الذي منعه عن الآمال. فيقول:

إنّي مللت قعودي في ثرى وطني ففيه مانلت غاياتي ولا وطري
(الخليفة، ١٩٦٦م: ٣٧)

فالضغوط النفسية وفقدان الحرية وسيادة الاستبداد إلى جانب الصمت القاتل
للشعب وجهلهم لمصالحهم جعلت دعاة الحرية والشعراء والوطنيين في حرج أرغمهم
على ترك آمالهم في وطنهم مع حنينهم إليها. فهذا هو الشيخ الوائلي يعلل سبب ترك
وطنه قائلا:

وطني العزيز لقد هجرتك مكرها وهجرت فيك مطارحي ووسادي
لا عن قلبي ولا عن رغبة في غير أجيالي وغير وهادي
لكن نفسا حرّة نشأت على سنن العلي حجت على رقادي
(الوائلي، ١٩٧٥م: ٢٥٠)

كما تلاحظ أن الشاعر يخاطب وطنه محبا له معززا شأنه، فيهجره بكراهة لا عن
رغبة، ويتركه دون أن يضغن للوطن أو يرجح حبّ شعب على شعبه، بل يتركه مرغما
لسيادة الاستبداد عليها وكبت الحريات فيها مما أدى إلى ضيق الجو الاجتماعي
والسياسي للأحرار الذين عاشوا دائما شرفاء أعزاء. ثم يتحدث الشاعر عن مجد وطنه
القديم ويتذكّر تراث المجد والعزة الذي نال بهما الأسلاف بتحمّل المشاكل والتضحية
وعدم الخضوع إزاء الظلم، وكذلك بعزم حازم، فينشد قائلا:

وطنى وورثناه عن الأجداد وترات عزّ ثابت الأوتاد
ملكوه بالسمر العوالى عنوة واستخلصوه بهمة وعناد

(الوائلى، ١٩٧٥م: ٢٤٧)

وفى كلام الشاعر فيما سبق كما يلاحظ تعريف لخصوع الحكام والشعوب أمام الظلم وكبت الحريات، فيذكر الشاعر الحكام بتاريخ وطنهم الماجد ويقول إنَّ الحكم لا يتم إلاَّ بهمة عالية وعزم حازم للصمود أمام الأعداء. فيطعن الشاعر بذلك الحكام بأنَّ ضعفهم أمام الأعداء يهدّد المجد القديم والعزّ السالف الذى أورثه حكام العرب القدماء، ويدعوهم أن يدودوا حمى وطنهم وعزة شعبيهم.

ونجد مثل هذا المضمون لشاعر آخر مجرىنى يتألّم من الحالة المؤسفة التى تسود وطنه وتتقل صدره وتجرح قلبه، وهى حالة الخضوع والذلّ للشعب والحكام أمام المستبدين من جهة والمستكبرين من جهة أخرى. فيقول:

صدرى ثقيل بالهموم وإئماً
تأتى الهموم لصاحب الوجدان
أجد الحياة إذا افتكرت كئيبة
فكأننى فيها بدار هوان

(عبد الرحمن الرفيع، جريدة الأضواء: ١٩٧١\١١\٩)

ففى البيتين السابقين يجد الشاعر الناس فى غفلة عمّا تصيبهم من المصاعب والبلايا، إلاَّ أنَّ فيهم عددا قليلا ذوى الوجدان يدركون ما يحدث فى مجتمعهم دركا عميقا ويحلّلونه تحليلا صحيحا ليس لهم سوى الحزن والألم والمعاناة. فتيأسهم الحالة هذه وتضجرهم الحياة لأنّهم لا يجدون سبيلا للتخلّص من الذلّ والهوان. فالبيتان لا تحملان سوى اليأس والحزن والألم والشعور بالغرابة من جهة وسيادة الهوان على المجتمع من جهة أخرى. فكانَّ البيتين صراخ على الغفلة ومؤاساة مع الأحرار الغريباء فى أوطانهم. ونسمع الشاعر يصرخ فى كلماته الأخرى قائلا:

يا أيها الإنسان أين أنت؟

بالله أين أنت؟

سألت عنك كلّ من رأيت،

فقبل لى: مضى ...
و ودّع المكان
فلن ترى الإنسان ها هنا
ولو بحثت عنه
لآخر الزمان
فالناس في مدينة الهوان
تنام في أمان
وتطلب النعيم في الجنان

(رفيع: ١٩٧٠م: ١٨)

فالشعور بالغرابة عند الشاعر واضح في الأبيات السابقة، فكأنه يبحث عن إنسان للهروب إليه من الغربة، ولكنه يظلّ مستكينا، لأنه يسأل عنه كل من يرى إلا أنه يفاجئ بإجابة خيبت الآمال وهي: أنه ترك المكان وأنت لن تلتقي به هنا. فيشعر الشاعر بذلك أن غفلة الناس ونيامهم متواصلة لاتنتهي، فإنهم خضعوا للذل والهوان راضين. كما أن الأبيات توحى بأن خضوع الناس للهوان يؤدي إلى فقدانهم قيمتهم الإنسانية وشرفهم، فلا يعدّ الشاعر الفاقد لها إنسانا حقيقيا. فلذلك يجد نفسه منفردا وهو يعيش معهم، ويبحث عمّن يؤاسيه ويأنس إليه في وحشته ويلوم شعبا خاضعا للذلّ يتنامى ليأمن، ويسخر منهم، لأنهم يطلبون في الهوان الجنة والنعيم.

ومن مظاهر النهضة البحرينية الإسلامية هي استخدام لفظ الشهيد في أشعار شعرائها. فانظر الأبيات التالية تجد العواطف الدينية:

يا نجما هزه الشوق إلينا
ورسمناه شهيدا
وحفرناه شهيدا
فوق كل الواجهات
فوق هامات الرجال السمر

(لعويناتي، ٢٠٠٣م: ١٣٩)

فالكلمة المحورية التي يتناولها الشاعر في الأبيات السابقة هي كلمة الشهيد الذي ضحّى بنفسه في سبيل الحرية، فأصبح في حياته كنجم ساطع يرشد الناس ويهديهم إلى الرشاد، وينفخ فيهم روح الأمل إلى المستقبل. فلذلك نرى الشاعر يرسم له مكانة تفوق نجوم السماء ويبالغ في رسمه لها حيث يقول بأنّ الشهيد أرفع مكانا منه فيشبه النجوم بالشهيد مكانة. فالشاعر يعظّمهم قائلا بأنّا حفرناهم فوق هامات الرجال. وهناك شاعر آخر يتحدث عن الشهيد عبدالله حسين يشير إلى أسباب استشهاده قائلا:

كبرت بنت البساتين .. تنامت

في رياح المستحيل

كانت السقيا.. دماء

كنت عبدالله تاريخا من الذلّ

وللفقراء وعاء

رافض أنت مرفوض عني

عبر تاريخ الولاء

إنّني اليوم تذكّرت أباك

حين لم يقو على كسر الحديد

يوم جرّوه صبح الأربعاء

وعلى الأرض أمام الجميع في سوق الكبير

(خليفة، لاتا: ١٩)

كما تلاحظ في الأبيات السابقة يثور الشهيد على عبدالله على الهوان الذي سيطر على شخصية الإنسان البحريني وجعلها محط الفقر والحرمان. فلا يستسلم الشهيد للذلّ والهوان، ولذلك يغضب عليه الحكم السائد الذليل وذلة السائدة ويقتله شهيدا ويجرّ أبا الشهيد على شوارع المدينة إهانة له وتحقيرا لرموز مقاومة الشعب لتداس عزّته بعدما عاش طويلا في السجون بين السلاسل أيبًا.

والشاعر البحريني لا ينسى مصير وطنه، فيصرخ في وجه من يتفق مع الأجانب

ويبيعه لهم. فيعاتب الحكام قائلاً:

بقيت بلا وطن داخل وطني ..

صرت.. منفيًا أبحث عن وطني

داخل وطني

لاحظته منطويًا في ورقة .. يبكي ..

داخلها ..

قرأت للسلطان .. توقعه ..

والرخصة التي باع بها الوطن

(العويناتي، ٢٠٠٣م: ١١٤)

فالشاعر يشعر بالغبرة مع أنه يعيش في وطنه، لأنّ الوطن قد بيع للأجانب بتوقيع السلطان، فأصبح يتواجد الأجنبي فيه منفيًا للشعر. كما أنّ الشاعر يشكو من سيطرة الشركات الأجنبية على الوطن يقول:

نحن الشركات الأمريكية

نحن أعداء البشرية

نقتل كل رفاق الحرية

ها أنا شركات نقتل من تقدر أن تقتل

من زمن القرن العشرين

حتى في زمن القرن الحادي والعشرين

(المصدر نفسه: ١٢٤)

فالشاعر يعدّ الشركات الأجنبية أعداء البشرية الذين يقتلون اليوم دعاة الحرية كما كانوا يقتلونهم في القرن العشرين. فيشير الشاعر فيما سبق إلى السلطة الاقتصادية للدول المستكبرة مما يبدو عن صحوة الشعراء البحرينيين الإسلاميين. وهذه الصحوة التي تتجذر في المعتقدات الدينية والتعاليم الإسلامية واضحة في أشعار الشعراء الآخرين. فانظر في استخدام ألفاظ " الله، والشهداء، والأنبياء، والأولياء، وربّي، والإسراء " فيما يلي:

يشهد الله أنكم شهداء
يشهد الأنبياء .. والأولياء
متمم كى تعزّ كلمة ربّي
فى ربوع أعزّها الإسراء

(القصيبي، ٢٠٠٢م: ٧)

فالشاعر يشهد الله بأنّ الذين ضحّوا بأنفسهم هم الشهداء، كما أنّ الأنبياء والأولياء يشهدون على أنّهم استشهدوا لتعزّ كلمة الله فى أرض معراج النبىّ (ص). فمن يخضع للذلّ هو الميّت لا الشهداء، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربّهم يرزقون﴾ فىواصل الشاعر كلامه مستنهضا شعبه ضد الصهاينة قائلا:

انتحرتم؟ .. نحن الذين انتحرنّا
بجياة .. أمواتها الأحياء
أيّها القوم نحن متنا .. فهيتّا
نستمع ما يقول فينا الرثاء
قد عجزنا .. حتّى شكّا العجز منّا
وبكينا .. حتّى ازدردانا البكاء
وركعنا .. حتّى اشمازّت الركوع
ورجونا .. حتّى استغاث الرجاء
ولعقنا حذاء "شارون" حتّى
صاح "مهلا، قطعتموني" الجذاء
وارتمينا على طواغيت بيت
أبيض ملء قلبه الظلماء
أيّها القوم .. نحن متنا .. ولكن
أنفت أنّ تضمّنّا الغبراء

(المصدر نفسه)

والشاعر كما رأيت يبذل جلَّ اهتمامه ليستنهض شعبه ضدَّ الظلم باستخدام الكلمات التي تحمل معنى دينيا من جانب وتسمية حكام بيت الأبيض وشارون بأنَّهم طواغيت من جانب آخر، ويهدف بذلك إثارة العواطف الدينية والوطنية لهم. وهذا إلى جانب أنَّ المفهوم العام للأبيات السابقة مستفادة من القرآن الكريم الذي يرى الشهداء بأنَّهم أحياء.

ومن المفاهيم السامية الإسلامية التي يعتنى بها الشاعر في إثارة الشعب ضد الظلم هي الجهاد الذي يسعى الغربيون والأعداء الصهاينة وبعض المغفلين داخل البلاد في السنوات الأخيرة إلى تحريف معناه عن موضعه وجعله مفهوما ضدِّ بشرية. فيعتقد أنَّ الطريق الوحيد لنجاة الوطن وشعبه هو إصدار فتوى الجهاد من جانب علماء الدين، ولذلك يشكو منهم ومن المفكرين الإسلاميين لتأجيلهم لإصدار هذا الحكم الديني، فهم عاجزون صامتون عند ضرورة الشجاعة والإقدام والجهاد فيقول:

قل من ذبحوا الفتاوى رويدا

ربَّ فتوى تضحَّ منها السماء

حين يدعو الجهاد.. يصمت حبر

ويراع.. والكتب.. والفقهاء

حين يدعوا الجهاد.. لا استفتاء

الفتوى يوم الجهاد الدماء

(المصدر السابق: ١٠)

كما نجد في أشعاره ألفاظا أخرى تدلُّ على نزعة الشاعر الدينية مثل أمّة القرآن أو

صلاح الدين حيث يقول:

يا أمَّ جرح الهوى يملو.. إذا ذكرت

روحي مرارة شعب يرضع الأسلا

يفدى الصغار بنهر الدم.. مقدسنا

ما لى أقلب طرفي.. لا أرى رجلا

أرى الجماهير.. لكن لا أرى الدولا

أرى البطولة .. لكن لا أرى البطلا
لا تذكرى لى صلاح الدين .. لو رجعت
أيامه .. لا ارتقى فى قبره خجلا
أين الكرامة .. هل ماتت بغصتها؟
أين الإباء .. أمل الجبن .. فارتحلا؟
عجبت من أمة القرآن .. كيف غدت
ضجيجة الذلّ .. لا ترضى به بدلا
أسطورة السلم .. مازالنا نعقرها
يا من يصدّق ذئبا صادق الحملا
حمامة السلم .. حلمى أن أقطعها
وأن يعود بصقر يقنص الوجلا
شارون نحن صنعناه بخشيتنا
كم خشية صنعت من فأرة جملا
تعملق القزم لما قزمت قمم
واستنسخت نملة فى ذعرنا جملا
هات الفؤاد الذى ثار اليقين به
واقذف بى النصر أو فاقدف بى الأجلان

(نفس المصدر: ١٥، ١٦، ١٧)

فالشاعر كما يلاحظ يعبر عن الشهادة بـ "جرح الهوى" مما يكشف عن رؤيته لإزائها، حيث يراها حلوا بعد ما يذيقه الشعب من مرارة الحياة، فأحلى ما عند الشاعر نقدية النفس لإزالة المرارات عن الشعب.

كما يرى الشاعر جماهير الشعب فى ساحة الكفاح والدول الإسلامية غائبون عنها، وهذا ما يجلب الخجل؛ لأنهم استخلفوا أبطالا كصلاح الدين الذى هو رمز للشجاعة والإقدام عند المسلمين، فإذا رجع صلاح الدين ورأى خضوع الدول الإسلامية للأعداء واستذلالهم أمامهم لجأ إلى قبره لشدة حزنه. فيسمى الشاعر بذلك الحكام العرب أذلاء

ويدعوهم إلى البسالة والإباء ويتمنى لهم شجاعة صلاح الدين. ثم نراه يسمي الشعوب الإسلامية بأمة القرآن مما يدل أيضا على أن الرؤية السائدة على الشاعر هي الرؤية الدينية الإسلامية. فهو كشاعر إسلامي يشكو من خضوع الشعب أمام الظلم واستسلامهم له ويعبر عن استنكاره لهم باستخدام كلمة "ضجيجة الذل" حتى يحرّضهم ويستنهضهم ضد الهوان والاستكانة. وهو لا يصدّق شعار السلام الذي يعلنه القوى المستكبرة العالمية ويسأل مستنكرا ويقول كيف يصدّق أن يصادق الذئب الخروف والسبعية من صفاتها الذاتية. فاستخدام الكلمات مثل الشهيد، أمة القرآن شارون، السلام العالمي، تدلّ على النزعات الإسلامية عند هذا الشاعر الذي يدرس قضايا البحرين ضمن قضايا العالم الإسلامي ويسعى إلى استنهاض الشعب البحريني والشعوب الإسلامية وتضامنهم معا.

النتيجة

كما مضى فإنّ جهل الشعوب وحمولهم وكذلك خضوع الحكام للذل وفقدان القيم الإنسانية في المجتمع وكذب الخطباء الحكوميين الذين يخدعون الشعوب في خدمة المستبدين كلها تعدّ من أسباب نهضة الشعوب خاصة الشعب البحريني. ثمّ معالجة كبت الحريات وتناول سجن دعاة الحرية واستخدام ألفاظ "الله، والأنبياء، وصلاة الفجر، الشهيد، والقرآن وأمة القرآن، والجهاد، وصلاح الدين الذي هو رمز للانتصار الإسلامي، كذلك معارضة سيطرة الشركات الأمريكية، واستخدام كلمة "شارون" رمزا لقتل الأبرياء المسلمين هي دلالة واضحة لدور الفكر الإسلامي في الصحو البحرينية.

المراجع والمصادر

- حداد، قاسم. ١٩٧٠م. ديوان البشارة. الطبعة الأولى. البحرين: الشركة العربية للوكالات والتوزيع.
- الخاطر، مبارك. ١٩٧٥م. نابغة البحرين. الطبعة الأولى. البحرين: منشورات الشركة العربية للوكالات والتوزيع.
- خليفة، علي. ١٩٧٣م. إضاءة لذاكرة الوطن. الطبعة الأولى. بيروت: دار الآداب.
- الخليفة، أحمد. ١٩٦٦م. بقايا الغدران. الطبعة الأولى. البحرين: المطبعة الشرقية.
- خميس، حمدة. ١٩٧٠م. الفجر والليل الزايف. مجلة هنا البحرين. يناير.

رفيع، عبد الرحمن. ١٩٧١م. الطبعة الأولى. أغاني البحار الأربعة. بيروت: دار العودة.
سليمان، خالد. ١٣٧٦ش. فلسطين وشعر معاصر عرب. ترجمه شهره باقرى وعبدالحسين فرزاد.
الطبعة الأولى. طهران: نشر چشمه.

الشرقاوى، على. ١٩٧٥م. الرعد في موسم القحط. البحرين: دار الغد.
عبدالله خليفة، على. ١٩٦٩م. أنين الصواري. الطبعة الأولى. بيروت: دار العلم.
العريض، إبراهيم. ١٩٣٢م. ديوان الذكرى. بغداد: مطبعة النجاح.
العويناتي، سعيد. ١٩٧٦م. الديوان. الطبعة الأولى. البحرين: دار الغد.
القصيبي، غازى. ٢٠٠٢م. الديوان. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
المعاودة، عبد الرحمن. ١٩٤٢م. الديوان. الطبعة الأولى. البحرين: مطبعة البحرين.
الوائلى، ١٩٧٥م. الديوان. تحت إشراف عيسى بن راشد. الطبعة الأولى. القاهرة: لانا.



پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی